

نَجْمُ الْمُنِيرَاتِ

عِنْدَ خَتَمِ الْمُهِمَّاتِ

فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

هَذَا فِيهِ نَصَائِعُ عِلْمِيَّةٌ
يُقْرَأُ عَقِبَ بَرْنَامِجِ مُهِمَّاتِ الْعِلْمِ

تَصْنِيفُ

صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسْرَائِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله في الأولى والآخرة، عَظُمَت مِنَّتُهُ، وَجَزُلَتْ
عَطِيَّتُهُ، جعلنا مسلمين، ورزقنا البيان والتبيين.

وصلَّى الله وسلَّم على خير رسله، وصفوة خلقه،
المبعوث رحمة، والمملوء حكمة، عبد الله محمد، و خليل
الرحمن أحمد، صلَّى عليه ربُّه مع سلامٍ يتبع، وعلى آله
وصحبه أجمع.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِيمَانِ
وَنِعْمَةَ التَّوْفِيقِ لِلْبَيَانِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ أُرْدِفَتْ سَلَامِي
عَلَى النَّبِيِّ وَالْآلِ فِي الدَّوَامِ
أَمَّا بعد:

فإنَّ المرءَ مفتقرٌ إلى صاحبٍ يأنسُ به، ويأوي إليه؛ لأنَّه
مدنيُّ الطَّبع، إنسانيُّ النَّزع، ومنَّ الجاري بين العرب قولهم:



«لولا الوئامُ لَهلك الأنامُ»؛ أي لولا أُنْتفاعُ الخلق بعضهم ببعض، وقيامُ سوقِ المؤانسة والمنفعة بينهم؛ لهلكوا.

وَأَنْفَعُ الْأَصْحَابِ: صَادِقُهُمْ، مَمَّنْ يَرَى لَكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ ما ترى له، وَذَلِكَ هُوَ الْمُؤْمِنُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَوْلِيَاءَ، يَسُطُّونَ فَرَّاشَ الرَّحْمَةِ، وَيَمُدُّونَ يَدَ الْعَوْنِ.

وفي «الصَّحِيحِينَ» من رواية آل أبي موسى الأشعريِّ عنه رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ: يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بُرْدَةَ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَدِّي أَبُو بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُوسَى^(١).

وفيهما من مسموع النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ قَلِيلٌ -: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مِثْلُ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى». وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (٨) ك: الصَّلَاة، (٨٨) ب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم ٤٨١، ومسلمٌ في (٤٥) ك: البرِّ والصَّلة والآداب، (١٧) ب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدِهم، رقم ٢٥٨٥.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (٨٢) ك: الأدب، (٢٧) ب: رحمة النَّاسِ والبهائم، رقم ٦٠١١، ومسلمٌ في (٤٥) ك: البرِّ والصَّلة والآداب، (١٧) ب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدِهم، رقم ٢٥٨٦.



فمن كان مؤمناً فهو الحقيق بالصُّحبة، وبالنَّهي عن صُحبة غيره ثبت الحديث النَّبِيُّ عند أبي داود^(١) والترمذي^(٢)، عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامُكَ إِلَّا تَقِيٌّ».

ومن جوامع وَصَفِ الصَّاحِبِ الَّتِي لَا تَوْجَدُ إِلَّا فِي الْمُؤْمِنِ؛ مَا أَوْصَى بِهِ عُلُقَمَةُ بْنُ لَبِيدٍ أَبَنَهُ، قَالَ: «يَا بُنَيَّ، إِنْ نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى صَحْبَةِ الرِّجَالِ؛ فَأَصْحَبْ مَنْ إِذَا صَحِبْتَهُ زَانِكٌ، وَإِنْ خَدَمْتَهُ صَانِكٌ، وَإِنْ مَرَّتْ بِكَ بَلِيَّةٌ مَانِكٌ - أَيْ أَعَانِكَ -، أَصْحَبْ مَنْ إِنْ قُلْتَ صَدَقَ قَوْلُكَ، وَإِنْ أَصَبْتَ سَدَّدَ صَوَابُكَ، أَصْحَبْ مَنْ إِنْ رَأَى مِنْكَ ثُلْمَةً سَدَّهَا، وَإِنْ بَدَتْ مِنْكَ نِعْمَةٌ عَدَّهَا، وَإِنْ مُدَّتْ يَدٌ إِلَيْكَ بِفَضْلِ مَدَّهَا، أَصْحَبْ مَنْ لَا تَخْتَلِفُ عَلَيْكَ مِنَ الطَّرَائِقِ». رواه أبو بكر الأنصاري في «أحاديث الشُّيوخ الثَّقَاتِ».

وقال ذو النُّون المصريُّ: «بصحبة الصَّالِحِينَ تَطْيِبُ الْحَيَاةُ، وَالْخَيْرُ مَجْمُوعٌ فِي الْقَرِينِ الصَّالِحِ: إِنْ نَسِيتَ ذَكَرَكَ، وَإِنْ ذَكَرْتَ أَعَانَكَ». رواه أبو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ».

(١) فِي (٤٢) ك: الْأَدَبُ، (٦٦) ب: مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يُجَالِسَ، رَقْم ٤٨٣٤.

(٢) فِي (٢٨) أَبْوَابُ الزُّهْدِ، (٥٥) ب: مَا جَاءَ فِي صَحْبَةِ الْمُؤْمِنِ، رَقْم ٢٣٩٥.



وإنما أختير للمؤمن أن يصحب مؤمناً؛ لأنَّ الصَّاحِبَ
 سَاحِبٌ، وَالزَّمِيلَ مُمِيلٌ، وَالطَّبَاعَ سَرَّاقَةٌ، وَالنَّاسُ مَجْبُولُونَ عَلَى
 التَّشَبُّهِ، فَالمرء يَرْكَنُ إِلَى دِينِ خَلِيلِهِ وَيَقْتَدِي بِهِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ
 قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». رَوَاهُ
 أَبُو دَاوُدَ^(١) وَالتِّرْمِذِيُّ^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي كِتَابِ «الْعُزْلَةِ»: «مَعْنَاهُ: لَا تُخَالِلْ إِلَّا مَنْ
 رَضِيَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا خَالَلتَهُ قَادَكَ إِلَى دِينِهِ وَمَذْهَبِهِ، وَلَا
 تُغَرِّرْ بِدِينِكَ، وَلَا تُخَاطِرْ بِنَفْسِكَ؛ فَتُخَالِلَ مَنْ لَيْسَ مَرْضِيًّا فِي
 دِينِهِ وَمَذْهَبِهِ».

وَفِي دِيْوَانِ الشُّعْرِ الْفَائِقِ مَبْنًى وَمَعْنًى قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ

فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

رَوَى أَبُو نُجَيْمٍ بَطَّةً فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَى» عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، قَالَ:
 «لَمْ أَرْ بَيْتًا قَطُّ أَشْبَهَ بِالسُّنَّةِ مِنْ قَوْلِ عَدِيِّ: ...» فَذَكَرَهُ.

وَمِنْ صَحْبَةِ الْمُؤْمِنِينَ الصُّحْبَةُ فِي الْعِلْمِ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

(١) فِي (٤٢) ك: الْأَدَبُ، (٦٦) ب: مَنْ يُؤَمَّرُ أَنْ يُجَالِسَ، رَقْمُ ٤٨٣٥.

(٢) فِي (٢٨) أَبْوَابُ الزُّهْدِ، (٤٥) ب: (وَلَمْ يَتَرَجَّمْ لَهُ)، رَقْمُ ٢٣٧٨.



أحدها: صحبة الشَّيْخ للشَّيْخ، وهي المنعقدة بين من فتح الله عليهما في النَّفع بالعلم، وإفادة الطَّالِبين؛ إعظامًا للعلم، بتأكيد أنَّه - مع الإخلاص والصَّديق - من أعظم أسباب المحبَّة، وموجبات المعونة بين أهله.

ثانيها: صحبة الطَّالِب للشَّيْخ المُعَلِّم له، وأكملها: صحبةُ العطوف منهم، ممَّن إذا صحَّبه الطَّالِب نفعه، صبورًا على تعليم الخير، يتألَّف الخلق عليه، دون دعوةٍ إلى نفسه، يأنسُ به المتعلِّم، ويفرح به المُجالِس، ومع كونه كبيرًا في العلم والسَّن فقد ربح البيع.

ثالثها: صحبة الطَّالِب للطَّالِب، والزَّمالة في العلم - إن سلَّمت من الغوائل -: نافعةٌ في الوصول إلى المقصود، إذا كان رابطها الفضيلة، وداعيها الإفادة.

وملاك صحبة المتأخين في العلم شيوْخًا وطلَّابًا: اللُّطفُ الجامعُ بين الرِّفق ومعرفة الأصلح في نيل المراد، فإذا رأى ما يسرُّ صاحبه لم يغرَّه، وإذا وقعت منه هفوةٌ لم يضرَّه؛ بل بيَّن له جادة السَّلامة بيانا يُدرِّكه صاحبه بلا خلطٍ أو خبط.

فالمُلاطفةُ في معاملة الصُّحبة المُلاطفة، المنسوجةُ في أبهى صور البيان: ممَّا تقوى به صحبتهم في العلم وتدوم.



وبعدُ إِنَّ هَٰذِهِ مُلَاطَفَةٌ

قد صُغِتْهَا لِلصُّحْبَةِ الْمُلَاطِفَةِ

منسوجةً من غيرِ ما تَكُلَّفُ

أَوْ عُجْمَةٍ لَوْثَاءٍ أَوْ تَعَسَّفِ

والمُلاطفة الصَّادقة عِمَادُهَا: النَّصِيحَةُ، ومفتاح النَّصِيحَةِ:

الإِخْلَاصُ، وتحريمُهَا: الصَّدْقُ، وتسليمُهَا: الفَرَحُ بِبذلِهَا.

فالنَّصِيحُ من موَاطِيقِ الرِّسَالَةِ، وَعُقُودِ النُّبُوَّةِ، وَالتَّبَاعِ لَا

يُخْرِجُونَ عَنِ الْإِتِّبَاعِ، فَيَدِينُونَ لِلَّهِ بِالنَّصِيحَةِ، وَيَتَوَقَّوْنَ رِزْيَةَ
الْفَضِيحَةِ.

مفتاح نصيحهم: الإِخْلَاصُ لِلَّهِ، فَلَا يُرِيدُونَ مِنَ الْخَلْقِ

جَزَاءً، وَلَا يَرْجُونَ مِنْهُمْ وَفَاءً، غَايَتُهُمْ: إِرْضَاءُ الْخَالِقِ فِي نَصِيحِ
الْمَخْلُوقِ.

وتحريمُ نصيحَتِهِمْ: الصَّدْقُ، فَإِذَا أَخَذُوا فِي النَّصِيحَةِ

أَسْقَطُوا حَقَّهُمْ، وَمَنَعُوا نَفُوسَهُمْ حِظَّوْظَهَا، وَمَلَّؤُوا قُلُوبَهُمْ
مَفْرُوضَهَا.

فَإِذَا أَدَّوْا نَصِيحَتَهُمْ فِي وَقْتِهَا، وَفَرَّغَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ سَرْدِهَا؛

خَرَجُوا مِنْهَا مُسَلِّمِينَ بِأَكْتِمَالِ بَذْلِهَا.



وَمِنَ السَّبِيلِ الْمُبْلَغَةِ إِلَى النَّصِيحَةِ: نَسْبَةُ الْمَرْءِ غَيْرَهُ إِلَيْهِ
بِالْأُخُوَّةِ؛ فِلْسَانُ مَنَادَاتِهِمْ: (يَا إِخْوَانِي)؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ،
وَمِنْ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الْحُجَرَات: ١٠].

فَمَتَى كَانَتِ النَّصِيحَةُ خَالِصَةً لِلَّهِ بِكُونِهَا فِيهِ، وَصَدَقَ الْإِخَاءُ
قَامَ يَخْطُبُ دَاعِيَهُ = فَإِنَّ مِنْ جَوَامِعِهَا الْحُضُّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ
بَلَا تَوَانِي.

نصیحتي في الله يا إخواني أَنْ تَطْلُبُوا الْعِلْمَ بَلَا تَوَانِي

وَإِنَّمَا عَظُمَتِ النَّصِيحَةُ بِالْحُضْرِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ
النُّبُوَّةِ أَشْرَفُ الْمَقَامَاتِ، وَبِهِ يُدْرِكُ الْعَبْدُ فِي الدَّارَيْنِ أَجَلَ
الْغَايَاتِ، فَبُضَاعَتُهُ مَبَارَكَةٌ، وَتِجَارَتُهُ رَابِحَةٌ، وَفَضَائِلُهُ جَمَّةٌ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَبِرَاهِينَ الْخَبَرِ الْمَذْكُورِ، مَسْطَرَّةٌ فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
وَالْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ، يَطُولُ عُدُّهَا، وَيَتَطَاوَلُ مَدُّهَا، وَفِي تَأْلِيفِ
الْأَوَائِلِ وَالْآخِرِ الْمَصْنُفَةِ فِي فَضَائِلِ الْعِلْمِ مَا يُقِيمُ الْبَيِّنَةَ، ﴿وَلَا
يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فَاطِر: ١٤].

وَالْفَاضِلُ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْمَرَادَةِ يُؤْخَذُ بِالْبِدَارِ، وَيُلَاحِظُ



بالعناية، عملاً بالوصية النبوية المسندة عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز»^(١).

فالتواني يُبعد التَّهاني، ويفتح على صاحبه باب العزاء عند الأتقياء؛ لأنه يُحرّم كثيراً من الخير، تفوت به المطالب السَّامية، وتُحبَّبُ المقامات العالِية.

ومن الجاحظيات المشكورة قوله: «التَّواني يُوجبُ الحسرة، والحزمُ يُوجبُ السُّرور». ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء».

وفي معناه قولُ ابنِ القيم: «من ركب ظهر التَّفريط والتَّواني؛ نزل به دار العُسرة والندامة».

وعقد هذا شعراً ابنُ زكريَّ الطَّرابُلُسيُّ في «أرجوزته الوعظية»:

وأقربُ النَّاسِ إلى الحِرمانِ
من قَطَعَ الأيَّامَ بالأمانِ

(١) في (٤٦) ك: القَدَر، (٨) ب: في الأمر بالقوَّة، رقم ٢٦٦٤.



وحقيقة التَّواني: تشاقل العبد عمّا ينفعه بعد الإمكان،
وتقاعده حتّى يصيرَ المقدورُ عليه في خبر كان.

وليس ذلك من الرّفق - كما يزعمه البطّالون - في شيءٍ.

قال ابنُ القيم في «الرُّوح»: «الرّفق شيءٌ، والتَّواني
والكسل شيءٌ؛ فإنَّ المتواني يتشاقلُ عن مصلحته بعد إمكانها،
فيتقاعدُ عنها، والرّفيق يتلطفُ في تحصيلها بحسب الإمكان مع
المطاوَعَة».

وجلّالة التَّواني: بوارق الأمانى.

قال يحيى بنُ معاذٍ: «لا يزال العبد مقرونًا بالتَّواني؛
ما دام مقيمًا على وعد الأمانى». رواه البيهقيُّ في «الرُّهد
الكبير».

وفي ترجمة سعيد بن سلام القيروانيّ من «السّير الذّهبيّة»
قوله: «مَن أعطى الأمانى نفسه؛ قَطَعَتْها بالتَّسْويف وبالتَّواني».

فأخرج نفسك من كتيبة التَّواني، وحلّق بها في مصاعد
السُّمُوِّ الفوقانيّ.

أنشد أبو السُّعود بنُ محمّد الحنفيّ لنفسه في قصيدةٍ طويلةٍ
أوردها صاحب «الشّقائِق النُّعمانيّة»:



قَوْضَ خِيَامَكَ وَأَرْتَحَلَ مِنْ سُوحِهِمْ
وَدَعَ التَّوَانِي لَا تَ حِينَ تَوَانِي
سِرٌّ فِي فُضَاءِ الْعَالَمِ الْعُلُوِّيِّ كَمْ
هَذَا الْجُثُومُ بِعَالَمِ الْجُثْمَانِ

وَمِنْ النَّصِيحَةِ فِي أَخْذِ الْعِلْمِ لَزُومُ التَّائِي، وَتَجَافِي زَلَّةَ
التَّمْنِي، فَمَنْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمَنَّى، وَمَنْ تَعَجَّلَ زَلَّتْ قَدَمُهُ، فَرَبَّمَا
أَنْكَسَرَتْ وَأَنْقَطَعَ فِي الطَّرِيقِ.

فَمَا أَحْسَنَ تَتْمِيمَ مَا سَبَقَ مِنَ الْمُنبِّهَاتِ الْمُبْثُوثَةِ بِقَوْلِ
مُشَدِّكُمْ:

وَتَلَزَمُوا فِي أَخْذِهِ التَّائِي
وَتَحَذَرُوا مِنْ زَلَّةِ التَّمْنِي
فَمَنْ يَسِرَّ تَرِيثًا يَنَالُ
مَا دُونَهُ تَسَاقُطَ الرِّجَالِ
وَمَنْ يَكُنْ مُعْجَلًا يَمِيلُ
عَنْ مَهَيِّعِ التَّعْلِيمِ ذَا هَزِيلٍ

وَمُطْلَعُ حُسْنِهِ: فِي الْوَصِيَّةِ بِالتَّائِي، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ التَّمْنِي.



ومن مفاريد الترمذي الحسانِ دون بقيّة السّنة؛ حديث
عبد الله بن سرجس المزنّي رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«السّمْتُ الحسنُ والثّوَدَةُ والاقتصادُ: جزءٌ من أربعةٍ وعشرين
جزءًا من النّبوة»^(١).

والحجّة في لزوم التّأني في طلب العلم، وترك العجلة:
قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً
كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

ذكره الخطيب البغداديّ في «الفقيه والمتفقه»، والراغب
الأصفهانيّ في مقدّمة «جامع التّفسير».

ومن شعر ابن النّحاس الحلبيّ قوله:

اليومَ شيءٌ وغداً مثلهُ

من نُخبِ العلمِ التي تُلتَقَطُ

يُحصّل المرءُ بها حكمةً

وإنّما السّيلُ أجماعُ النّقطِ

(١) في (٢٨) أبواب البرّ والصّلة، (٦٦) ب: ما جاء في التّأني والعجلة، رقم
٢٠١٠.



والناس في أخذ العلم طائفتان:

❖ فمنهم من يسير في تحصيل مطلوبه بالتَّأَنِّي مُتَرَيِّثًا،
والتَّريُّث: الإبطاء، والممدوح منه: المقتَرَنُ بالعقل والعمل،
فيُفضي به سيرُهُ إلى نيل مطلوبه الَّذي تساقط الرِّجال دون
بلوغه.

❖ ومنهم من تأخذه العَجَلَة، وتَغْلِبُه سَكْرَةُ الوصول، ونَشْوَةُ
المأمول، فيَحِيدُ عن الطَّرِيق، ويخرج عن جادَّة التَّعَلُّم، فتَلَحُّقُه
الأسقام، وتَمُجُّه الأَفْهام، فَيَنحَلُّ عُوْدَه، ويضعف أَيْدُه، هزِيلَ
العلم؛ كعظم لا لحم عليه، أو شجرٍ لا ثمرَ فيه.

وعاقبة العَجَلَة وخيمةٌ:

لا تَعَجَلَنَّ لِأَمْرٍ أَنْتَ طَالِبُهُ

فقلَّما يُدْرِكُ المطلوبَ ذو العَجَلِ

فذو التَّأَنِّي مُصِيبٌ في مقاصدهِ

وذو التَّعَجُّلِ لا يَخْلُو عَنِ الزَّلَلِ

وَمِنَ المحذور المحذور زَلَّةُ التَّمَنِّي، بتحديث النَّفس
بالمطلوب دون بذل الجَهْدِ في تحصيله؛ فَإِنَّ المُفْلِسَ يتسلَّى
بالأَمَانِيِّ، ويسترسِلُ معها، فيُبْجِرُ خياله وهو محبوسٌ في قيد



الأوهام، لم تترقَّ نفسه للمعالي، ولا بلغ مقصوده من العوالي،
فكره في مركب الرّبح شارد، وقلبه على ديوان الخسارة وارد.

قال عليُّ بنُ محمّدٍ الصّائغ: «من فساد الطّبع التّمنيّ
والأمل».

وَمِنَ النَّفَحَاتِ النَّجْدِيَّةِ فِي الْحَقَائِقِ الْقَلْبِيَّةِ؛ بَدِيعَةُ فَيَصِلُ آلِ
مَبَارِكٍ فِي تَحْقِيقِ الْفُرْقَانِ بَيْنَ التَّمَنِّيِّ وَالرَّجَاءِ: أَنَّ التَّمَنِّيَّ يُصَاحِبُهُ
الْكَسَلُ، وَالرَّجَاءُ يَبْعَثُ عَلَى صَالِحِ الْعَمَلِ.

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّيِّ
وَلَكِنْ أَلْقِ دِلْوَكَ فِي الدَّلَاءِ
تَجِيءُ بِمِلْئِهَا طَوْرًا وَطَوْرًا
تَجِيءُ بِحَمَاءَةٍ وَقَلِيلِ مَاءٍ

ومهيّع التّعليم المطلوبُ إقامةُ النفوس عليه؛ لا يخفى على
باحثٍ حيثٍ أو ناهضٍ مستغيثٍ، وهو تلقّي أصول العلوم،
المدخّرة في أمّات المتون، في أنواع الفنون؛ حفظًا وفهمًا.

ومن بدائع المقترحات في تسمية الأشياء بحقائقها (كتب
الجادة) عند متأخري العراقيين، يعنون بها قوام العلوم من
المتون الجديرة بالأخذ حفظًا وفهمًا.



فَالْأَمْرُ بِخَيْرٍ لَكُمْ هُوَ الدَّالُّ عَلَيْهَا :

فَلْتَدْرِسُوا مِنَ الْمَتُونِ مَا أَشْتَهَرُ

فَإِنَّمَا التَّحْصِيلُ أَخْذٌ بِالْأَثَرِ

وَحَازِرُوا مِنْ حَاضِرِهِ بِمَا شُهِرَ

فَرُبَّمَا النَّفَاعُ لَيْسَ يَشْتَهَرُ

وَإِنَّهُ مَنْ يَعْلَمُ الْمَشْهُورَا

يَزِيدُهُ أَنْ يَعْلَمَ الْمُسْتَوْرَا

فَالنَّافِعُ مِنْ مَتُونِ الْعِلْمِ : مَشْهُورُهَا الَّذِي جَرَى عَلَيْهِ الْعَمَلُ
فِي تَلْقِينِ مَسَائِلِ الْعُلُومِ ، وَشَهْرَتُهَا نَسْبِيَّةٌ ، فَلِلْمُشَارِقَةِ مَا لَهُمْ
وَلِلْمَغَارِبَةِ مَا لَهُمْ ، وَمَا اخْتَصَّ بِهِ قُطْرٌ مِنْهَا فَهُوَ لِأَهْلِهِ .

وَالْمَوْفَّقُ مِنْ هُدًى إِلَى تَقْدِيمِ الْفَاضِلِ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ
التَّشَارِكُ ، وَمِنْ مَثَلِهِ اخْتِصَاصُ الْمَشَارِقَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْمَغَارِبَةِ بِنَظْمِ
الْعَمْرِيَّيِّ «الْوَرَقَاتِ» فِي الْأُصُولِ ، وَاخْتِصَاصُ كَثِيرٍ مِنَ الْمَغَارِبَةِ
بِنَظْمِهَا لِلْكُنْتِيَّ ، وَثَانِيَهُمَا : أَحْسَنُهُمَا وَضْعًا ، وَأَتَمُّهُمَا لِمَقَاصِدِ
«الْوَرَقَاتِ» جَمْعًا .

وَمَنْ جَالَ فِي بِلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ أَصَابَ الْمَعِينُ ، وَمِثْلُ
هَذَا - إِنْ عَقَلَ - فَتَنْعَمَ الْمُعِينُ .



فمن أراد حيازة العلم الأتم فليلزم الجادة المعروفة في أخذه، بيد أن المُشيدَ بها، المجتهدَ في نفع الخلق بتشييدها؛ ينبغي له أن يحذرَ من حصرها بالمشهور، فربّما كان النَّفَاعُ غيرَ مشتهرٍ؛ لما حَكَمَ به الله من تقلُّبِ الدُّولِ، وتغيُّرِ أحوالِ البلدان في العلم، ومن أحاط بالمشهور زاده علمُه بغيره.

ومن شواهدِه عندي «الأرجوزة المئّية في السيرة النبويّة» لأبْنِ أَبِي العزِّ، و«حُسنُ البيان في نظم مُشْتَرَكِ القرآن» للأبياريّ، و«نظم الموافقات»، و«ثمار المُزهر» كلاهما لماء العينين الشنقيطيّ، و«نيل المُنَى في نظم متن البنا» للكوهجيجيّ، وألفيّة البلاغة «لآلئ التّيان» لأستاذي حسن بن عبد الرزّاق.

ومن رتّب أخذَ العلمِ شيئاً فشيئاً متدرّجاً تخرّج، وترك غيره مُتَخَبِّطاً يتفرّج.

وَمَنْ رَقِيَ فِي الْعِلْمِ بِالتَّدْرِجِ

فَقَدْ عَلَا سَابِلَةَ التَّخْرِجِ

وحقيقة التّدريج: البداءةُ بالمتون القصار المصنّفة في فنون العلم حفظاً وأستشراحاً، ثمّ التّرقّي إلى ما بعدها، مع الميل حينئذٍ عن مطالعة المطوّلات التي لم يرتفع الطّالب بعدُ إليها.



ومن أَعْرَضَ عَنِ التَّدْرُجِ أَضَرَّ بِنَفْسِهِ، وَفَوَّتَ عَلَيْهَا نِيلَ
الْعِلْمِ، وَلَحِقَهُ الْغَيْبُ لَا مُحَالَهَ، وَإِنْ كَانَ دَاعِي إِعْرَاضِهِ تَكْبُرُهُ،
وَرَغْبَتُهُ عَنْ مِشَارَكَةِ مَنْ يَرَاهُمْ دُونَهُ فِيمَا هُوَ لَهُ أَنْفَعُ؛ فَهُوَ شَيْطَانٌ
فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ؛ لِأَنَّ فِي فِعْلِهِ أَسْتِنكَافًا عَنِ الْعِبَادَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا،
وَمَلَا حِظَةً لَطْغِيَانٍ نَفْسَهُ الْمَأْمُورِ بِقَهْرِهَا.





فَصْلٌ

وَمِنَ النَّصَحِ الَّذِي يُرَوَّدُ بِهِ سَالِكُ الْجَادَّةِ، الْمُتَقَيِّدُ بِرِسُومِ
السَّلَفِ الْمَاضِينَ، السَّاعِي فِي فَكَائِكَ نَفْسِهِ، إِذَا أُدْخِلَ فِي رَمْسِهِ =
مَا أَنْتَظِمَ فِي قَوْلِ مُنْشَدِكُمْ:

لَا تَضَجُّرُوا مِنْ كَثْرَةِ الْإِفَادَةِ
فَإِنَّهَا مَعَ حُسْنِهَا عِبَادَةٌ
أَوْ تَجَزَّعُوا لِفِتْيَةٍ تَغِيبُ
فَحِظُّهُمْ يَحْوزُهُ الْأَرِيبُ
فَلتَأْخُذُوا مِنْ دَرَسِنَا الْعَوَالِي
وَتَأْفِنُوا فِي مِثْلِهِ الْعَوَالِي
وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَتْرَكَ الدُّرُوسَا
فَشَأْنُهُ لَنْ نَمْلِكَ النُّفُوسَا
لَكِنَّمَا لِيَحْذَرَ الْإِصَابَةَ
بَزِيغَةِ الْحَيَاةِ وَالرَّتَابَةِ
فِي تَرْكِ التَّشْمِيرِ وَالتَّعَلُّمِ
وَيَلْتَهِي بِرُفْقَةٍ لَنْ تُنْعَمَا
كَمْ طَالِبٍ تَرَاهُ لِلْعُلُومِ
مُهَيَّأً لَجُودَةِ الْفُهُومِ



مُضِيًّا لِنَفْسِهِ لَمَّا صَحِبَ
أُولِي بَطَالَةٍ إِلَيْهِمْ أَنْسَحَبَ
فَلَمْ يُفَقْ مِنْ سَكْرَةِ الْمُقَارَنَةِ
حَتَّى رَأَى مُقَدِّمًا مِنْ قَارَنِهِ
فِي شَيْئِ الشُّيُوخِ وَالْأَحْوَالِ
وَهُوَ الَّذِي بِالْأَخْتِيَارِ مَالَا
يَا ضِيْعَةَ الْأَعْمَارِ فِي سَفَاهَةٍ
مِنْ ضُحْبَةٍ تَجْنِي عَلَى النَّبَاهَةِ

وَحُلُّ عَقْدِهَا لِمَنْ رَامَ عَقْلَهَا: فِي فَهْمِ نَهْيَيْنِ، وَأَمْرَيْنِ،
وُخْبَرَيْنِ.

❖ فَأَمَّا النَّهْيُ الْأَوَّلُ فَعَنِ الضَّجَرِ مِنْ كَثْرَةِ الْإِفَادَةِ، الَّتِي
يُجْرِيهَا اللَّهُ تَفْضُّلاً عَلَى عَبْدِهِ؛ لِأَنَّ الصَّبْرَ عَلَى وَابِلِهَا عِبَادَةٌ، مَعَ
مَا يَكْتَنِفُهَا مِنَ الْحُسْنِ وَنَفْعِ الْمُتَلَقِّي.

وَالْمُحْسِنُ مِنَ الْمَعْلَمِينَ عَظُمَ مُرَادُهُ: إِمْدَادُ الْمُتَعَلِّمِينَ
بِالْفَوَائِدِ النَّافِعَةِ؛ لِأَنَّهُ يَرَاهَا وَظِيفَتَهُ الْكِبْرِيَّاءَ فِي الْعِبَادَةِ، وَمِنْ
بَدَائِعِ التَّرَاجِمِ الْمُفْصَحَةِ عَنْ هَذَا فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ» لِأَبْنِ
عَبْدِ الْبَرِّ قَوْلُهُ: «بَابُ فِي أَبْتِدَاءِ الْعَالَمِ جُلَسَاءَهُ بِالْفَائِدَةِ».



وفي أخبار حمزة بن محمد الدقاق الحافظ أنَّ مجالسه لم تكن تخلو من فائدة.

قال البرقاني: «ما اجتمعت قط مع حمزة بن محمد ففارقته إلا بفائدة علم».

❖ وأما النهي الثاني فعن الجَزَع إذا انقطع عن صحبة الطالب من كان يُشاركه من أقرانه؛ لأنَّ حظَّهم يحوزه العاقل الأريب المُرابط في مجالس العلم، فلا يلحقه ضررٌ بغيابهم؛ بل هم المُعابون به.

كان سفيانُ الثوريُّ ويزيد بن هارونَ يقولان: «من غاب خاب، وأكل نصيبَه الأصحاب». رواه السَّمْعانيُّ في «أدب الإِماء والأَستماء» عنِ الأوَّل، والخطيب في «الجامع» عن الثاني.

ونظمه أبو هلالٍ العسكريُّ فقال:

مَنْ كَانَ عَنْكَ مُغَيِّبًا

أَسْلَاكَ عَنْهُ مَغِيبُهُ

وَإِذَا تَطَاوَلَ هَجْرُهُ

نُسِيَ اللَّقَاءُ وَطِيبُهُ



أَوْ مَا سَمِعْتَ مَقَالَهِمْ

مَنْ غَابَ غَابَ نَصِيبُهُ

❖ وَأَمَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ فَأَنْ يَنْتَخِبَ الطَّالِبُ مِنْ دَرَسِهِ
الْغَوَالِي، وَهِيَ جَلَائِلُ الْفَوَائِدِ، وَشَوَارِدُ الْأَوَابِدِ، الْحَقِيقَةُ بِالتَّقْيِيدِ
لئَلَّا تَذْهَبَ؛ لِأَنَّهَا رَبِّمَا تُلْتَمَسُ فَلَا تُوجَدُ.

قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ مُوسَى: «يَجَالِسُ الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ
يَسْمَعُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا يَحْفَظُ فَذَاكَ لَا شَيْءَ، وَرَجُلٌ يَكْتُبُ كُلَّ
شَيْءٍ سَمِعَهُ فَذَاكَ الْحَاطِبُ، وَرَجُلٌ يَسْمَعُ الْعِلْمَ فَيَتَخَيَّرُهُ وَيَكْتُبُ
فذَاكَ الْعَالِمُ». رَوَاهُ الْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ».

❖ وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي فَمُثَافَنَةُ الْعَوَالِي؛ أَيِ مَجَالَسَةِ الْأَكَابِرِ،
وَالْعُلُوِّ الْمُشَارِ إِلَيْهِ: عُلُوُّ الدَّرَايَةِ، فَهُوَ الْمَلَاذِ الْأَمِينُ فِي تَحْصِيلِ
الْعِلْمِ، وَالْمَنْعَوَاتِ بِهِ هُوَ مَنْ أَمَعْنَ النَّظَرَ وَأَعْمَلَ الْفِكْرَ فِي
الْتِمَاسِهِ، وَصَارَ فِي رُتْبَةٍ مُحَقِّقِيهِ، وَأَوَّلَاهُمْ بِالْمَلَاظِمَةِ: مَنْ كَانَ
كَبِيرَ الْعِلْمِ وَالسِّنِّ، فَلَا انْتِفَاعَ بِهِ أَعْظَمَ مِنَ الْانْتِفَاعِ بِمَنْ قَصُرَ عَنْهُ
سَنًا مِنَ الشُّيُوخِ.

وَمِنْ بَلَايَا الْعَصْرِ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَكَابِرِ، وَالْأَفْتَتَانُ
بِالشَّبَابِ، وَمَنْ نَبَغَ مِنَ الشَّبَابِ فِي مَنْزِلَةٍ مِنْ يُسَاعِدُ رُبَّانَ
السَّفِينَةِ، لَهُ فَضِيلَةُ الدَّلَالَةِ وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَقُودَهَا.



ومن بلاياه أيضًا من يُنسب إلى التَّقدُّم في العلم، ويُعدُّ في
الأكابر؛ مع خُلُوِّهِ مِنْ حَقِيقَتِهِ، وتزَيُّيهِ بصورته، غرَّ الخلق بلسانٍ
فصيحٍ، وهُجُومٍ على المسائل قبيحٍ، وشهادةٍ مُصدِّرةٍ بلقب
(دكتور)!)، فيها ما لأبنِ حُميدٍ أحمد:

أستبدلوا لفظَ الفقيهِ بغيره

وَمِنْ الغريبِ مُحدِّثونَ دكاتِرُهُ

واللهِ لو عَلِمَ الجُدودُ بفِعلِنَا

لتناقلوها في المجالسِ نادرُهُ

ويُكشِفُ سِتْرَهُ أَنْ تَبْحَثَ كَيْفَ أَخَذَهُ الْعِلْمُ؟، وَمَنْ شِيوخُهُ
الَّذِينَ تَخْرُجُ بِهِمْ؟، لَا مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِمْ وَأَجْتَمَعَ بِهِمْ!

قال إبراهيم النَّخَعِيُّ: «كانوا لا يكتبون الحديثَ إِلَّا عَمَّنْ
يُعرفُ بِالطَّلَبِ». رواه ابنُ عديٍّ في «الكامل».

وقال عبد الله بن عونٍ: «لا نكتب الحديثَ إِلَّا مِمَّنْ كان
عندنا معروفًا بِالطَّلَبِ».

وقال عبد الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ: «لا يُؤخذ العلمُ إِلَّا
عَمَّنْ شَهِدَ لَهُ بِطَلَبِ الحديثِ». رواهما الخطيب في «الكفاية».



❖ وأما الخبر الأول فأنَّ من أراد أن يترك الدُّروس، وينقطع عنها، فهذا اختياره لنفسه، ولا أملك له نفعاً، ولا يلحقُ بي ضرراً؛ فإنَّ من صدق التَّعليم تجريدَ النَّفس من ملاحظة المتعلِّمين رغبةً في شيءٍ سوى هدايتهم وإرشادهم، والصَّادق يُرزق من يحفظ علمه من تلميذٍ أو كتابٍ مخلدٍ.

ومن تتميم إرشاد المائل للأنقطاع؛ تحذيره من الرُّكون إلى الدُّنيا، والأغترار بها، والسُّقوط فيما أعتاده الخلق من رسومها، فسيجرُّه ذلك إلى ترك الجدِّ في اقتباس العلم، والالتهاء بصحبة لا تُمدح، ولا يفرح بها عاقلٌ، من رُفقاء البطالة وقرناء السُّوء.

❖ وأما الخبر الثاني فتوجُّع على ضياع من له أهليَّة في العلم من الطُّلاب - لما حباه الله به من جودة الفهم وقوَّة الحفظ - إذا ترك التَّعلُّم مغترّاً بصُحبة البطَّالين، فلم تزل سكرة مقارنتهم تُغطي عقله حتَّى أبصر تقدُّم من كان يصحبه في العلم عليه، فأفاق من السُّكرة، وراجع الفكرة، لكنَّه حمَّل جناية تأخُّره شيوخه والأحوال المحيطة به!، ونسي البعيد أنَّه هو الَّذي اختار طريقه، وأخطَّ خطَّته، فضاع عُمره في سفاهة، مع صُحبة جنت على النَّباهة، ولئن لم يتدارك نفسه بقي في ظُلمة هواه؛ ولقي في الدَّارين ما لا تُحمد عُقباه.



وَمِنْ رَوَائِعِ الْمُتَنَبِّي :

وَلَمْ أَرَ فِي عَيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا
كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ





فَصْلٌ

وبعد هذا فما أقول لكم إِلَّا ما قلته من قبل لمن أنشأت
لهم النصيحة المتقدمة:

فَلْتَحْفَظُوا نَصِيحَةَ الْعُصِيِّ
فَإِنَّهَا السَّبِيلُ نَحْوَ الرِّيمِ
سُتْشَرِّقُ الْأَيَّامُ بِالْحَقَائِقِ
وَيَحْمَدُ الْخَذُولُ عَزَمَ السَّابِقِ
وَالرِّيمُ هُوَ الْفَضْلُ.

وليست النصيحة سبيلاً للفضل لأجل قائلها؛ فَإِنَّ له مِنَ
الخطايا ما يُنْزِلُهُ عن رتبة الاقتداء، ويرجو من رَبِّه أَنْ يغفرها له
يومَ القضاء؛ لكن لما أُنْتَظِمَ فيها مِنَ المعاني المقررة عند
أساطين العلم وأربابه، فما فيها مقاصدُ مرادةٍ لهم، رسموا
معانيها، ونحَتْ مَبَانِيهَا.

والفصل بين المتنازعين في حقيقة صراط العلم المستبين؛
سيبدو إذا أشرقت الأيّام بعد دَوْرانِ فَلَكِهَا بِالْحَقَائِقِ، فبان لسالك
الجادة حميدُ فعله، وجميلُ صنعه، وشَهِدَ نعمةَ الله عليه، فقد
هداه إِلَى ما به نال العلم وحازه، وبان لمنِ اخْتَطَّ جَادَةً مُحْدَثَةً،



أَوْ خَبَطَ صَنُوفًا مَبَثَّةً، قَلَّةَ الْمَحْصُولِ، وَفَوَاتُ الْمَأْمُولِ، وَعِنْدَهَا
يَحْمَدُ الْخَذُولَ عَزَمَ السَّابِقَ.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ فَيَمَنْ صَحْبَتُهُ قَرِينًا، وَفَيَمَنْ صَحْبَنِي مُتَعَلِّمًا
أَمِينًا؛ مِنْ دَلَائِلِ الْحَقِّ، مَا يَزِيدُ قَلْبِي طُمَأْنِينَةً، وَيَمَلَأُ نَفْسِي
سَكِينَةً؛ أَنَّ سُلُوكَ الْجَادَّةِ السَّوِيَّةِ يُبَلِّغُ الْعَبْدَ الْمَقَاصِدَ الْمَرْضِيَّةَ،
وَأَنَّ الْعَدُولَ عَنْهَا يَضِيعُ بِهِ عُمْرٌ كَثِيرٌ مَعَ فَائِدَةٍ قَلِيلَةٍ.

وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي، وَالْبَوْحُ بِهَا
رَحْمَةٌ لِلْمُتَعَلِّمِينَ، يُرْجَى بِهَا بَلُوغُ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ؛ لَمَّا
ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، أَرْحَمُوا مِنْ فِي
الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمُ مِنْ فِي السَّمَاءِ».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ تَاجِ الدِّينِ بْنُ أَحْمَدَ الْبَشِيرِ الْكُمْبُلَشِيُّ - وَهُوَ
أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ تَوْفِيْقِ الشَّلْبِيّ -
وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ -، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ أَبُو النَّصْرِ ابْنُ
عَبْدِ الْقَادِرِ الْخَطِيبُ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ -، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ خَلِيلٍ الْحُسَيْنِيُّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ -، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ أَحْمَدَ الْبَهِّيّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ -، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيِّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ -، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ
سَلِيمَانَ الْخَرْبَتَاوِيُّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ -، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ



الْفَيْسُومِيُّ الْمَصْرِيُّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنَا
يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَرْمِينِيُّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ،
حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ
سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَمَرَ ابْنُ الْمُكَلَّنِ -
وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنَا جَدِّي عَمْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ
الْمُكَلَّنِ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْمِيدُومِيُّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنُ
عَبْدِ الْمَنَعَمِ الْحَرَّانِيُّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنَا
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الْجُوزِيِّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ،
حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ النَّيْسَابُورِيُّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ
سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنَا أَبِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ النَّيْسَابُورِيُّ - وَهُوَ
أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزِّيَادِيُّ - وَهُوَ
أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَزَّازُ - وَهُوَ
أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشَرَ بْنِ
الْحَكَمِ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، حَدَّثَنِي سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ -
وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ - ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي
قَابُوسَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي^(١) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) بإثبات الياء على الأفصح فيه.



عمرو بن العاصي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ»^(١)، أَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

(ح) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْبَاقِي بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيُّ - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْهُ -، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو النَّصْرِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلِيلٍ الْحُسَيْنِيُّ، - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْهُ -، حَدَّثَنَا أَبِي، - وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْهُ -، بِإِسْنَادِهِ الْمَتَّقَمِ.

حَدِيثٌ حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ^(٢) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُسَدَّدٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ^(٣) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَبِي عَمْرٍ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بِهِ دُونَ تَسْلُسِلٍ، فَوْقَ لَنَا بَدَلًا لِهَمَا عَالِيًا.



(١) وَقَعَ فِي بَعْضِ طَرُقِ سَمَاعِ الْحَدِيثِ زِيَادَةُ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى)، وَلَيْسَتْ مِنَ الرَّوَايَةِ، وَيَجُوزُ ذِكْرُهَا تَعْظِيمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(٢) فِي (٣٦) ك: الْأَدَبُ، (٦٦) ب: فِي الرَّحْمَةِ، رَقْم ٤٩٤١.

(٣) فِي (٢٨) أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، (١٦) ب: مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، رَقْم ١٩٢٤.

فَصْلٌ

وهذه الأبيات المضمَّنة البيانَ المتقدمَّ: ممَّا تقادم من شعر
مُشدِّكم، أنشأها نصِّحًا لجماعةٍ مِنَ الآخذين عنه، وجعل أَسْمَهَا
«تحفةُ المُلاطفةِ في نُصحِ الصُّحبةِ المُلاطفةِ»، وسياقها المتَّصل:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِيمَانِ
وَنِعْمَةُ التَّوْفِيقِ لِلْبَيَانِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ أُرْدِفَتْ سَلَامِي
عَلَى النَّبِيِّ وَالْآلِ فِي الدَّوَامِ
وَبَعْدُ إِنَّ هَذِهِ مُلَاطَفَةٌ
قَدْ صُغْتُهَا لِلصُّحْبَةِ الْمُلاطفَةِ
مَنْسُوجَةً مِنْ غَيْرِ مَا تَكْلُفٍ
أَوْ عُجْمَةٍ لَوْثَاءٍ أَوْ تَعَسُّفٍ
نَصِيحَتِي فِي اللَّهِ يَا إِخْوَانِي
أَنْ تَطْلُبُوا الْعِلْمَ بِلَا تَوَانِي
وَتَلْزَمُوا فِي أَخْذِهِ التَّائِي
وَتَحْذَرُوا مِنْ زَلَّةِ التَّمَنِّي
فَمَنْ يَسِرَّ تَرْيُثًا يَنَالُ
مَا دُونَهُ تَسَاقُطَ الرِّجَالِ



وَمَنْ يَكُنْ مُعْجَلًا يَمِيلُ
عَنْ مَهْيَعِ التَّعْلِيمِ ذَا هَزِيلُ
فَلْتَدْرِسُوا مِنَ الْمَتُونِ مَا أَشْتَهَرُ
فَإِنَّمَا التَّحْصِيلُ أَخْذٌ بِالْأَثَرِ
وَحَازِرُوا مِنْ حَضْرِهِ بِمَا شُهِرُ
فَرُبَّمَا النَّفَّاعُ لَيْسَ يَشْتَهَرُ
وَإِنَّهُ مَنْ يَعْلَمِ الْمَشْهُورَا
يَزِيدُهُ أَنْ يَعْلَمَ الْمُسْتَوْرَا
وَمَنْ رَقِيَ فِي الْعِلْمِ بِالتَّدرُجِ
فَقَدْ عَلَا سَابِلَةَ التَّخْرِجِ
لَا تَضَجُّرُوا مِنْ كَثَرَةِ الْإِفَادَةِ
فَإِنَّهَا مَعَ حُسْنِهَا عِبَادَةُ
أَوْ تَجَزَّعُوا لِفِتْيَةٍ تَغِيبُ
فَحِظُّهُمْ يَحْوِزُهُ الْأَرِيبُ
فَلتَأْخُذُوا مِنْ دَرَسِنَا الْغَوَالِي
وَتَأْفِنُوا فِي مِثْلِهِ الْعَوَالِي
وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَتَرَكَ الدُّرُوسَا
فَشَأْنُهُ لَنْ نَمْلِكَ النُّفُوسَا



لَكِنَّمَا لِيَحْذِرِ الْإِصَابَهُ
بَزِيغَةِ الْحَيَاةِ وَالرَّتَابَةِ
فَيْتَرُكُ التَّشْمِيرَ وَالتَّعَلُّمَ
وَيَلْتَهِي بِرُفْقَةٍ لَّنْ تُنْعَمَا
كَمْ طَالِبٍ تَرَاهُ لِلْعُلُومِ
مُهِيًّا لَجَوْدَةِ الْفُهُومِ
مُضِيًّا لِنَفْسِهِ لَمَّا صَحِبَ
أُولَى بَطَالَةٍ إِلَيْهِمْ أَنْسَحَبَ
فَلَمْ يُفَقْ مِنْ سَكْرَةِ الْمُقَارَنَةِ
حَتَّى رَأَى مُقَدِّمًا مِنْ قَارَنِهِ
فِي شَيْئِ الشُّيُوخِ وَالْأَحْوَالِ
وَهُوَ الَّذِي بِالْأَخْتِيَارِ مَا لَا
يَا ضِيْعَةَ الْأَعْمَارِ فِي سَفَاهِهِ
مِنْ صُحْبَةٍ تَجْنِي عَلَى النَّبَاهِ
فَلْتَحْفَظُوا نَصِيحَةَ الْعُصَيْمِيِّ
فَإِنَّهَا السَّبِيلُ نَحْوَ الرِّيمِ
سُتْشَرِّقُ الْأَيَّامُ بِالْحَقَائِقِ
وَيَحْمَدُ الْخَذُولُ عَزَمَ السَّابِقِ



ولم تزدني السّنوات المتتابة، والحوادث المتلاحقة؛ إلّا
إيماناً بما فيها، ووثوقاً بمعانيها؛ إذ رأيتُ بعدها أثرَ الاقتداء
وما يُثمر، وعاقبةَ العشواء وما تُهدِر.

وفي صَرَفِ الدَّهر أخبارٌ وحكايات، تُرشد إلى أحوالٍ
ونهايات، فالشَّقِيّ من شَقِي في بطن أمّه، والسَّعيد من وُعِظ
بغيره.

ومَن هُدي إلى الرُّشد وإلى طريقٍ مستقيمٍ؛ سار بسير
الأوائل العارفين، وأهتدى بمسالك البررة المتّقين، لا تُغيّره
العوادي الحادثة، ولا تستهويه العواتي النّافثة، يحفظ المُهمّات،
ويَنفَهم المُبيّنات، ويُتَقِن البَيّنات.

إن ترك النَّاسُ السَّبِيل، وعدلوا عنها مع فقد المرشد
الدَّلِيل؛ صاح فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهْدَهُمْ أَقَدَهُ﴾
[الأنعام: ٩٠].

وإن ساروا خلف دعوَى جديدة، وركبوا موجةً زعموها
رشيدة؛ ناداهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَتَأُ الْمُؤْمِنُ﴾ [الصّافات: ١٠٦].

يحفظ ما حفظ السّابق الأوّل، ويستشرح ما عليه المعوّل،
ينقل قدمه بالتّأني على الأثر، ويصعّد نظره إلى المعالي بتقليب



الفكر، لا يُقدّم شيئاً على علوم العلماء السّالّفين، ولا يزهد في إفادات فضلاء المتأخّرين.

فمن رام العلم فليحفظ هذه الوصيّة، وليُصلِح كمائن الطّويّة، مع دوام الانكسار للجبار، والدّعاء بأفضل الاختيار.

أستودعُ الله نصيحتكم، إنّه لا تضيع ودائعُه، وإذا أَسْتودعُ شيئاً حفظه، وهو على كلّ شيءٍ شهيدٌ.

اللّهم ربّ النّبيّ مُحَمَّدٍ اغفرْ ذنوبنا، وأذهبْ غيظَ قلوبنا، وأَجِرْنَا مِنْ مُضِلّاتِ الفتنِ ما أصابنا.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ، وما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا.

اللّهم اغْفِرْ لَنَا خَطَأَنَا وَعَمَدَنَا، وجهلنا وهزلنا، وكلُّ ذلك عندنا.

اللّهم اغْفِرْ لَنَا ما قَدَّمْنَا وما أَخَّرْنَا، وما أَسْرَرْنَا وما أَعْلَنَّا، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

